

عِلْمُ الدِّفَاعِيَّاتِ

المحاضرة ٢٦: الكتاب المقدس وعلم الدفاعيات، الجزء ١

أ.ر. سي. سبرول

فِيمَا نَتَابِعُ دِرَاسَتَنَا لِعِلْمِ الدِّفَاعِيَّاتِ، سَنَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَى مَوْضُوعٍ جَدِيدٍ مُهِمٍّ جِدًّا، وَهُوَ كَيْفِيَّةُ الدِّفَاعِ عَنِ ثِقَةِ الْكَنِيسَةِ وَإِيمَانِهَا بِسُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَوَحْيِهِ. لَكِنَّ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، دَعُونِي أُقَدِّمُ بَعْضَ الْمُلَاحَظَاتِ التَّمْهِيدِيَّةِ. يَرَى بَعْضُ الدِّفَاعِيِّينَ أَنَّ الْخُطْوَةَ الْأُولَى فِي الدِّفَاعِيَّاتِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هِيَ إِرْسَاءُ أُسَاسِ الْمَصْدَرِ الرَّئِيسِيِّ لِلسُّلْطَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِادِّعَاءَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ؛ وَأَنْتَا يَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ دِرَاسَةَ الدِّفَاعِ عَنِ الْإِيمَانِ بِتَرْسِيخِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ تَرْسِيخِ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، يَصِيرُ الْبَاقِي سَهْلًا، وَيَصِيرُ الْبَاقِي فَقَطْ مَسْأَلَةً تَفْسِيرٍ، أَوْ جَنِيٍّ لِلْحَقَائِقِ الَّتِي نَحَاوِلُ الدِّفَاعَ عَنْهَا مِنْ تَعْلِيمِ النَّصِّ الْكِتَابِيِّ. فَمَثَلًا، إِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُثَبِّتَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ اسْتَطَعْنَا أَنْ نُبَيِّنَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يُعَلِّمُ بِالْوَهِيَّةِ الْمَسِيحِ، لَنْ نَكُونَ بِحَاجَةٍ حِينَئِذٍ إِلَى الْحُوضِ فِي الْحُجَجِ الْفَلَسَفِيَّةِ أَوْ التَّارِيخِيَّةِ الدَّقِيقَةِ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْادِّعَاءِ بِالْوَهِيَّةِ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسَ يُعَلِّمُ بِذَلِكَ، وَنَحْنُ أَثْبَتْنَا أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، تَكُونُ الْمُهْمَةُ قَدْ انْتَهَتْ. وَلِذَلِكَ، ثَمَّةَ دِفَاعِيُونَ يَقُولُونَ إِنَّ نُقْطَةَ الْإِنْطِلَاقِ الصَّحِيحَةَ فِي الدِّفَاعِيَّاتِ هِيَ الدِّفَاعُ عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

أَوَافِقُ بِالتَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّ إِثْبَاتِ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَجَدَارَتِهِ بِالثَّقَّةِ هُوَ أَوْلَوِيَّةٌ عَظْمَى فِي الدِّفَاعِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ، لَكِنِّي لَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ هِيَ النُّقْطَةُ الْأُولَى الَّتِي يَجِبُ الْإِنْطِلَاقُ مِنْهَا. وَلِهَذَا لَمْ أَبْدَأُ مِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ فِي هَذِهِ السَّلْسَلَةِ، بَلْ بَدَأْتُ بِمَحَاوَلَةِ إِثْبَاتِ وُجُودِ اللَّهِ، لِأَنِّي أَرَى ذَلِكَ سَابِقًا لِإِثْبَاتِ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كَكَلِمَةِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ شَيْئًا مَا هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ مَا لَمْ يَثْبُتْ أَوْلًا أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهُ يُمَكِّنُ اكْتِشَافَ كَلِمَتِهِ فِي مَكَانٍ مَا.

مُجَدِّدًا، هُنَاكَ مَنْ يَقُولُونَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا يُقَدَّمَ أَيُّ دِفَاعٍ مَنْطِقِيٍّ عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، بَلْ إِنَّ سُلْطَةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَوُجُودَ اللَّهِ أَبْضًا، يَجِبُ التَّسْلِيمُ بِهِمَا بِاعْتِبَارِهِمَا نُقْطَةَ الْإِنْطِلَاقِ الْمُزْدَوِجَةَ لِكُلِّ الْحَقِّ الْمَسِيحِيِّ وَكُلِّ الدِّفَاعِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ. عِنْدَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، يَقُولُ الْبَعْضُ إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يَتَمَتَّعُ بِالْمَوْثُوقِيَّةِ الدَّائِيَّةِ، مَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، بِحُكْمِ طَبِيعَتِهِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْضَعَ لِأَيَّةِ سُلْطَةٍ أَعْلَى مِنْهُ أَوْ خَارِجَهُ. فَإِذَا كَانَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، فَإِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تَتَمَتَّعُ بِسُلْطَةٍ فِي دَاتِنَهَا، وَلَا يُمَكِّنُ إِخْضَاعَهَا لِشَيْءٍ أَعْلَى مِنْهَا، لِأَنَّهُ لَا تُوجَدُ سُلْطَةٌ أَعْلَى مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ.

دَعُونِي أَعُودُ لِلْوَرَاءِ قَلِيلًا. رَأَيْنَا جَمِيعًا الْمُلْصِقَ الَّذِي يَقُولُ: "يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ ذَلِكَ، وَأَنَا أَصَدِّقُهُ، وَهَذَا يَحْسِمُ الْأَمْرَ". أَوْ يَقُولُ: "يَقُولُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَأَنَا أَصَدِّقُهُ، وَهَذَا يَحْسِمُ الْأَمْرَ". وَكُلُّ مَنْ يَعْرِفُنِي يَعْلَمُ أَنَّي أَعْتَرِضُ عَلَى هَذَا الشَّعَارِ،

لِأَنَّهُ تُوجَدُ جُمْلَةٌ فِي الْمُنْتَصِفِ لَيْسَتْ فَقَطْ غَيْرَ مُتَّصِلَةٍ بِالْمَوْضُوعِ، لَكِنَّهَا فِعْلِيًّا تُفَوِّضُ مِنَ الْفِكْرَةِ الَّتِي يُحَاوِلُ الْمُلَصِّقُ تَوْصِيلَهَا. فَمَا كَانَ يَنْبَغِي قَوْلُهُ هُوَ: "يَقُولُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَهَذَا يَحْسِمُ الْأَمْرَ"، لِأَنَّ إِذْعَانِي أَوْ عَدَمَ إِذْعَانِي لِمَا يَقُولُهُ اللَّهُ لَا يَمُتُ بِصِلَةٍ لِحْسِمِ الْأَمْرِ. فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ كُلِّي الْقُدْرَةَ فَاهُ بِشَأْنِ مَوْضُوعٍ مُعَيَّنٍ، يَصِيرُ الْأَمْرُ مُحْسُومًا إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَبْقَى مَجَالٌ لِلْجَدَلِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا. وَكَمَا قَالَ الْمُصْلِحُونَ: "مَا أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ فَمَهُ الْقُدُوسَ، يَنْقُضِي النَّزَاعَ".

لَكِنْ فَطْعًا، مِنَ الْمَنْظُورِ الدَّفَاعِيِّ، نَتَحَدَّثُ هُنَا لَيْسَ فَقَطْ عَمَّا إِذَا كَانَ اللَّهُ مُوجُودًا أَمْ لَا، بَلْ مَا إِذَا كَانَ هَذَا الْإِلَهَ الْمَوْجُودَ أَعْلَنَ عَنْ دَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ مَكْتُوبَةٍ أَمْ لَا. فَإِثْبَاتُ وُجُودِ اللَّهِ يُخْتَلِفُ تَمَامًا عَنْ إِثْبَاتِ أَنَّ اللَّهَ الْمَوْجُودَ تَكَلَّمَ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي وَمِنْ خِلَالِ صَفَحَاتِ الْكَلِمَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَكْتُوبَةِ. لَكِنْ مُجَدِّدًا، مَنْ يُحَاوِلُونَ تَأْيِيدَ الْمُتَوْقِفِيَةِ الدَّائِيَةِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يُؤَيِّدُونَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى عَدَمِ وُجُودِ سُلْطَةِ أَعْلَى يُمَكِّنُ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنْ يَخْضَعَ لَهَا. وَإِذَا تَنَاوَلْنَا ادِّعَاءَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَأَرَدْنَا إِخْضَاعَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِاخْتِبَارَاتِ الْمُنْطِقِيِّ أَوْ الْعُقْلَانِيَّةِ، أَوْ لِلتَّحْقِيقِ الْعِلْمِيِّ التَّجْرِبِيِّ، فَإِنَّا بِهِذَا نُسَاوِمُ فِي نَقَاءِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ، بِإِخْضَاعِ اللَّهِ لِاخْتِبَارَاتِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الْبَشَرِيِّ. لَيْسَتْ هَذِهِ بِالتَّأَكِيدِ رَغْبَةً أَيْ دِفَاعِيًّا يَشْرَعُ فِي الدَّفَاعِ عَنْ جَدَارَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالْحَقِّقَةِ. لَكِنَّ سَبَبَ اعْتِرَاضِي عَلَى الدَّفَاعِ عَنْ نَصِّ مَوْثُوقٍ دَائِيًّا - فِي الْوَاقِعِ يُوجَدُ أَكْثَرَ مِنْ سَبَبٍ. السَّبَبُ الْأَوَّلُ هُوَ أَنَّ الْأَسَاسَ الْمُنْطِقِيَّ لِذَلِكَ دَائِرِيٍّ، وَبِالتَّالِيِ مَغْلُوطٌ. فَالْحُجَّةُ الدَّائِرِيَّةُ تَهْدِمُ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا. وَيُمْكِنُ صِيَاغَةُ حُجَّةِ الْمُتَوْقِفِيَةِ الدَّائِيَّةِ كَالتَّالِيِ: الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، لِكَوْنِهِ كَلِمَةُ اللَّهِ، يُعْلِنُ أَنَّهُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ؛ وَبِالتَّالِيِ، الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ. أَوْ يُمَكِّنُ صِيَاغَتَهَا كَالتَّالِيِ: كُلُّ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ صَحِيحٌ؛ وَيَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ؛ وَبِالتَّالِيِ، الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ بِالفِعْلِ كَلِمَةُ اللَّهِ. تَرَوْنَ أَنَّهُ فِي كِلْتَا الصِّيَاغَتَيْنِ لِلْمُعَادَلَةِ، الْإِسْتِثْنَانُ مُوجُودٌ بِالفِعْلِ فِي الْفَرْضِيَّاتِ، وَهَذَا مَنْطِقٌ دَائِرِيٌّ، يُعَدُّ مُعَالِظَةً مَنْطِقِيَّةً. وَلِهَذَا لَا أَحِبُّ تَأْيِيدَ الْمُتَوْقِفِيَةِ الدَّائِيَّةِ لِأَنَّهَا تُوقِعُنِي فِي طَرِيقَةٍ تَفْكِيرٍ مَغْلُوطَةٍ، يُمَكِّنُ لِأَيِّ شَخْصٍ غَيْرِ مُؤْمِنٍ أَنْ يَرُصِدَ خَطَأَهَا.

ثَانِيًا، يُورِظُنَا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مَوْثُوقٌ دَائِيًّا فِي الْمُسْئَلَةِ التَّالِيَةِ: يَدَّعِي الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ الْكِتَابُ الْوَحِيدَ الَّذِي يَدَّعِي ذَلِكَ. فَكِتَابُ الْمُؤْمِنِينَ يَدَّعِي ذَلِكَ. وَالْقُرْآنُ يَدَّعِي ذَلِكَ. وَنَعْلَمُ أَنَّ مَحْتَوَى كِتَابِ الْمُؤْمِنِينَ، مَثَلًا، لَا يُمَكِّنُ، بِرَأْيِي، تَوْفِيقَهُ مَعَ تَعْلِيمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. يَرَى الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ الْإِثْنَيْنِ مُتَوَافِقَانِ تَمَامًا. لَكِنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ التَّوْفِيقِ بَيْنَهُمَا. لَكِنْ بِأَيِّ حَالٍ، بِمَا أَنَّ كُتُبًا أُخْرَى تَدَّعِي أَنَّهَا كَلِمَةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ نُدْرِكُ أَنَّ ادِّعَاءَاتِهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ، وَنُدْرِكُ أَيْضًا أَنَّ مُجَرَّدَ ادِّعَاءِ كِتَابٍ مَا بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ لَا يُثْبِتُ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا إِذْنٌ بَعْضُ الْمَعَايِرِ الَّتِي نُمَيِّزُ بِهَا ادِّعَاءَ صَحِيحًا بِالأَصْلِ الْإِلَهِيِّ عَنِ ادِّعَاءِ كَاذِبٍ أَوْ زَائِفٍ بِالسُّلْطَةِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَتِلْكَ هِيَ مُهِمَّةُ الدَّفَاعِيِّينَ، عِنْدَ فَحْصِ ادِّعَاءَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالمُصَدِّقِيَّةِ. وَمُجَدِّدًا، مُجَرَّدُ ادِّعَاءِ كِتَابٍ مَا بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ لَا يَجْعَلُهُ كَلِمَةَ اللَّهِ.

مُجَدِّدًا، يَقُولُ أَصْدِقَائِي الَّذِينَ يُؤَيِّدُونَ الْمُؤْتَوِقِيَّةَ الدَّائِيَّةَ: "صَحِيحٌ أَنَّهُ حِينَ يَدَّعِي كِتَابَ الْمُورِمُونَ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، هُوَ لَيْسَ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَهَذَا الإِدَّاعَاءُ كاذِبٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةَ اللَّهِ. لَكِنْ حِينَ يَدَّعِي الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، فَهَذَا الإِدَّاعَاءُ صَحِيحٌ لِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ. وَبِهَذَا نَقَعُ مُجَدِّدًا فِي الْمَشْكَلَةِ الْأُولَى، عِنْدَمَا نَسْلُكُ هَذَا الْمَنْحَى فِي حُجَّتِنَا.

السَّبَبُ الثَّلَاثُ - ادِّعَاءَاتُ أُخْرَى - السَّبَبُ الثَّلَاثُ لِعَدَمِ افْتِنَاعِي بِالْحَقِّ دَائِي الْمُؤْتَوِقِيَّةَ هُوَ أَنَّهُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ نَفْسِهِ، حِينَ يَقُولُ اللَّهُ إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ، وَدُونَ أَنْ يُخْضِعَ نَفْسَهُ لِاخْتِبَارِ عَقْلَانِيَّةِ أَسْمَى، كَانَ يُقَدِّمُ مَعَ ذَلِكَ بَرَاهِينَ وَأَدَلَّةَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ مَنْ يَتَكَلَّمُ. وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: فَهُوَ يُبْرهنُ عَلَى أَنَّ الرِّسَالَةَ آتِيَّةَ مِنْهُ بِوَأَسْطَةِ الْمُعْجَزَةِ.

نَعُودُ الْآنَ مُجَدِّدًا إِلَى إِعْلَانِ اللَّهِ عَنِ ذَاتِهِ لِمُوسَى فِي سِفْرِ الْخُرُوجِ. كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى مِنَ الْعُلْيَقَةِ الْمُتَّفَدِّةِ، فَطَرَحَ مُوسَى بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ، قَائِلًا: "كَيْفَ سَيَصْدُقُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَلَامِي حِينَ أَذْهَبُ إِلَيْهِمْ قَائِلًا إِنِّي تَكَلَّمْتُ مَعَ اللَّهِ، وَهُوَ أَمَرَنِي بِأَنْ أُوصِيَهُمْ بِبَدْءِ إِضْرَابِ ضِدِّ أَقْوَى حَاكِمٍ فِي الْعَالَمِ؟ سَيَنْظُرُ هَوْلًا إِلَى وَيَطْنُونَ أَنِّي مُحْبُولٌ. فَكَيْفَ سَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِكَلَامِكَ يَا رَبُّ، وَلَسْتُ أُعْبِرُ عَنْ رَأْيِي الشَّخْصِيِّ؟"

أَجَابَ اللَّهُ مُوسَى قَائِلًا: "أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُنْبِكَ"، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي عُنْبِهِ؛ ثُمَّ قَالَ "أَخْرِجْهَا"، وَإِذَا هِيَ بَرَصَاءُ! ثُمَّ قَالَ: "رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُنْبِكَ". فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُنْبِهِ ثُمَّ أَخْرِجْهَا وَإِذَا هِيَ طَاهِرَةٌ. مَاذَا فَعَلَ اللَّهُ هُنَا؟ مَنَحَ مُوسَى الْقُدْرَةَ عَلَى صُنْعِ الْمُعْجَزَاتِ. وَقَالَ: "خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ". فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ. ثُمَّ نَعَلِمَ كَيْفَ خَاصَ مُوسَى مَعْرَكَةً مَعَ سَحْرَةِ بَلَاطٍ فِرْعَوْنَ، الَّذِينَ مَارَسُوا حِيلَهُمُ السَّحْرِيَّةَ - مِثْلَمَا يَفْعَلُ السَّحْرَةُ الْيَوْمَ. لَكِنْ بَعْدَ مُوَاجَهَةِ مَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ قَائِلٌ لِلطَّبِيعَةِ بِفِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، نَفَذَتْ جُعْبَتُهُمْ، فَانْتَصَرَ مُوسَى. ثُمَّ لِإِقْنَاعِ فِرْعَوْنَ، نَقَرْنَا عَنْ جَمِيعِ الصَّرَبَاتِ الَّتِي أَحْلَقَتْهَا قُوَّةُ اللَّهِ عَلَى شَعْبِ مِصْرَ، إِلَى أَنْ اسْتَسَلَمَ فِرْعَوْنَ أُخِيرًا.

وَفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، التَّقَى يَسُوعُ بِنِقُودِيمُوسَ. جَاءَ إِلَيْهِ نِقُودِيمُوسُ قَائِلًا: "يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ آتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَصْنَعُهَا. وَقَالَ نِقُودِيمُوسُ: "لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ". وَرَبُّنَا نَفْسُهُ، فِي تَرْدِيدِ لِيَصَدَى رَأْيِي نِقُودِيمُوسَ، وَفِي حَدِيثِهِ مَعَ خُصُومِهِ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، قَالَ: "وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِكَلَامِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي أَصْنَعُهَا". ثُمَّ نَلَا حِظٌ أَيْضًا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الإِدَّاعَاءُ بِأَنَّ سُلْطَانَ الرُّسُلِ تَأَكَّدَ بِالْقُوَاتِ وَالْعَجَائِبِ الَّتِي صَنَعُوهَا، مَا مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ أَمَكْنَهُمْ إِذْرَاكُ أَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مِنْ خِلَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ، بِقُوَّةِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ، اسْتَظَاعُوا أَنْ يَصْنَعُوا أُمُورًا لَا يَسْتَطِيعُ سِوَى اللَّهِ أَنْ يَصْنَعَهَا.

دَعُونِي الْآنَ أَكْمِلُ تِلْكَ الْفِكْرَةَ قَلِيلًا. يَظُنُّ كَثِيرُونَ أَنَّ الْمُعْجَزَاتِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ تُثَبِّتُ وُجُودَ اللَّهِ، لَكِنْ هَذَا رَأْيٌ ضَعِيفٌ دِفَاعِيًّا، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ تَعْرِيفَ شَيْءٍ بِأَنَّهُ مُعْجَزَةٌ، أَيْ بِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُ سِوَى اللَّهِ أَنْ يَصْنَعَهُ، مَا لَمْ

نُثِبَتْ أَوْلًا وَجُودَ إِلَهٍ. إِذَنْ، لَيْسَ دَوْرُ الْمُعْجِزَاتِ هُوَ إِثْبَاتُ وَجُودِ اللَّهِ. بَلْ كِتَابِيًّا، دَوْرُ الْمُعْجِزَةِ هُوَ التَّوْثِيقُ، أَوْ تَقْدِيمُ أَوْرَاقِ اعْتِمَادِ ظَاهِرِيَّةٍ، لِلَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ.

سَأَتَجَاوِزُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ حَالِيًّا. وَأَرْجُو أَنْ يُتَاحَ لِي الْوَقْتُ لِتَنَاوُلِهَا قَبْلَ نِهَآيَةِ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ. لِأَنَّ إِحْدَى أَكْبَرَ نِقَاطِ الْخِلَافِ الَّتِي عَلَى الْكَنِيسَةِ التَّعَامُلُ مَعَهَا الْيَوْمَ، فِي ضَوْءِ نَقْدِ دَافِيدِ هِيَوْمَ، مَثَلًا، لِلْمُعْجِزَاتِ، هِيَ الْأَحْدَاثُ الْفَائِقَةُ لِلطَّبِيعَةِ الْمُدَوَّنَةُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. بَدَأَتِ الْفَلَسَفَةُ الطَّبِيعِيَّةُ بِإِفْتِرَاضِهَا الْمُسَبِّقَ لِعَدَمِ وَجُودِ عَالَمٍ فَائِقٍ لِلطَّبِيعَةِ. وَبِمَا أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ عَالَمٌ فَائِقٌ لِلطَّبِيعَةِ، فَلَا يُوْجَدُ إِلَهٌ. وَأَيُّهُ مُعْجِزَةٌ مَزْعُومَةٌ، سَوَاءٌ آنَذَاكَ أَوْ الْآنَ، لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهَا كَاذِبَةٌ. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ حَتْمًا كِتَابُ خُرَافِيٍّ، تَحْدِيدًا لِأَنَّهُ يُعْلِنُ وَجُودَ الْمُعْجِزَاتِ. وَبِالتَّالِي، فَبِحَسَبِ الْمُؤَيَّدِ الْعَصْرِيِّ لِلْمَذْهَبِ الطَّبِيعِيِّ، الْأَمْرُ بَعِيدٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ كَوْنِ الْمُعْجِزَاتِ تُنْبِئُ بِمُصَدِّقِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ، بَلْ مُجَرَّدُ ادِّعَاءِ وَجُودِ مُعْجِزَةٍ تَسَبَّبَ فِي رَفْضِ الْكَثِيرِينَ فِي الْعُصُورِ الْحَدِيثَةِ لِرِسَالَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. مِنَ اللَّافِتِ - بَلْ وَمِنَ الْمَفَارَقَةِ - أَنْ نُلَاحِظَ هَذَا التَّحَوُّلَ فِي دَوْرِ الْمُعْجِزَةِ. سَاعَاوِدُ التَّطَرُّقَ إِلَى ذَلِكَ لِاحِقًا، كَمَا ذَكَرْتُ.

لَكِنِّي أَحَاوِلُ الْآنَ أَنْ أُبَيِّنَ لَكُمْ سَبَبَ اعْتِرَاضِي عَلَى اعْتِبَارِ التَّوْثِيقِ الدَّائِيٍّ وَسَيْلَةَ الدَّفَاعِ عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَقَدَّمْتُ ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ لِذَلِكَ. لَكِنِّ مُجَدِّدًا، أُوَافِقُ عَلَى الْأَهْمِيَّةِ الْمَلِحَّةِ لِإِثْبَاتِ جِدَارَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالثَّقَّةِ، فِي مَرَحَلَةٍ مُبَكَّرَةٍ مِنْ عَمَلِيَّةِ الدَّفَاعِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ. وَأَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ نَحْنُ مُلْزَمُونَ بِالدَّفَاعِ عَنْهُمَا فِي عِلْمِ الدَّفَاعِيَّاتِ - أَهَمُّ أَمْرَيْنِ - هُمَا وَجُودُ اللَّهِ أَوْلًا؛ وَثَانِيًا، الْأَصْلُ الْإِلَهِيُّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَيَقَعُ ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ بِالمِائَةِ مِنْ عِبءِ الدَّفَاعِيَّاتِ عَلَى هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ.

حَتَّى الْآنَ فِي هَذِهِ السَّلْسِلَةِ، قَدَّمْنَا أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مُحَاضَرَةً حَاوَلْنَا فِيهَا إِثْبَاتَ الْفَرْضِيَّةِ الْأُولَى - أَيُّ وَجُودِ اللَّهِ. وَالْآنَ، سَنَنْتَقِلُ إِلَى الْفَرْضِيَّةِ الثَّانِيَةِ الْأَهَمِّ، وَهِيَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ.

نُقْطَةُ الْإِنْطِلَاقِ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هِيَ شَهَادَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنِ نَفْسِهِ. لَنْ أَتَرَاجَعَ نَحْوًا تَأْيِيدِ التَّوْثِيقِ الدَّائِيٍّ، لَكِنِّ إِحْدَى الْمَشْكَلَاتِ الَّتِي نُوَاجِهُهَا مَعَ مَفْهُومِ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَوَحْيِهِ هُوَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يَقُولُ إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ. يَرْفَعُ هَذَا فَجَاءَةً مِنَ الْمِعْيَارِ الدَّفَاعِيِّ لِادِّعَاءِ الْمَسِيحِيَّةِ، لِأَنَّهُ تُوْجَدُ ادِّعَاءَاتٌ أُخْرَى فَائِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ - مِثْلُ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الْأَفْنُومُ الثَّانِي فِي الثَّالُوثِ الَّذِي تَجَسَّدَ. هَذَا ادِّعَاءٌ مُذْهِلٌ عَنِ حَقِّ فَائِقٍ لِلطَّبِيعَةِ. لِنَنْظُرْ أَيْضًا إِلَى الْادِّعَاءِ الْأَسَاسِيِّ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَهُوَ أَنَّنَا، عَلَى الصَّلِيبِ، لَا نَشْهَدُ مَوْتَ مُجْرِمٍ مُدَانٍ خَارِجٍ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَيِّدِي الرُّومَانِ، بَلْ نَشْهَدُ حَدَثًا لَهُ دَلَالَةٌ كَوْنِيَّةٌ، أَيُّ كَفَّارَةً كَانَ الْعُرْضُ مِنْهَا هُوَ مُصَالِحَةٌ الْمَخْلُوقَاتِ السَّاقِطَةِ إِلَى إِلَهٍ عَادِلٍ وَقُدُوسٍ. هَذَا هُوَ مَفْهُومٌ وَتَفْسِيرُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِمَوْتِ يَسُوعَ. وَفِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، نَقْرَأُ التَّصْرِيحَ الْمُذْهِلَ بِأَنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صُلِبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْعَظِيمَةِ، خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ ثَانِيَةً، وَقَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ

هَذَا هُوَ مَجُورُ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ - أَيِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ صَعِدَ بِالْجَسَدِ إِلَى السَّمَاءِ، إِلَى آخِرِهِ. هَذِهِ كُلُّهَا وَقَائِعٌ فَائِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ تُشَكِّلُ جَوْهَرَ رِسَالَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ عَنِ الْمَسِيحِ. يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، رِسَالَةُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ مَعْرُوسَةٌ فِيمَا هُوَ فَائِقٌ لِلطَّبِيعَةِ. وَيَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّهُ يُقَدَّمُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِسُلْطَةٍ لَا تَقِلُّ عَنِ سُلْطَةِ اللَّهِ ذَاتِهِ.

لَتَفْتَرِضَ أَنَّ ادِّعَاءَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَنَّهُ مُوحَى بِهِ، أَيُّ بَأَنَّهُ حَقُّ اللَّهِ، وَبِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَتَكَلَّمُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ انْطِلَاقًا مِنْ أَفْكَارِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ تَكَلَّمُوا بِوَحْيِ إِلَهِيِّ، بِحَيْثُ أَمَكَّنَهُمُ الْقَوْلُ: "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ". لِنَفْتَرِضَ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ. فَهَلْ يُمَكِّنُ، مَنْطِقِيًّا، أَنْ يَكُونَ بَاقِي الْمَحْتَوَى صَحِيحًا؟ نَعَمْ. أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا شُهَدَاءَ عِيَانٍ عَلَى يَسُوعَ أَصَابُوا فِي تَفْسِيرِهِمْ لِكُونِهِ مَاتَ كَفَّارَةً، وَلِكُونِهِمْ رَأَوْهُ يُخْرَجُ مِنَ الْقَبْرِ حَيًّا. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَاعٍ أَنْ يُوحَى لَهُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ حَتَّى يُمَيِّزُوا الْقِيَامَةَ، إِنَّ شَهْدَوْهَا بِالْفِعْلِ. وَإِذَا كَانُوا وَقَفِينَ عَلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، وَعَايَنُوا صُعُودَ يَسُوعَ بِشَكْلِ مَنْظُورٍ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا دَاعِيَ لَوْجُودِ شَاهِدٍ مُوحَى لَهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا. لَكِنْ مُجَدَّدًا، تَدَكَّرُوا أَنَّ تِلْكَ أَحْدَاثٌ فَائِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ بِشَكْلِ مُذْهِلٍ، دُونَتْ مَكْتُوبَةً. وَإِذَا كَانَ مَصْدَرُنَا الرَّئِيسِيِّ، وَشُهَدَاؤُنَا الرَّئِيسِيِّونَ عَلَى هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ وَالْفَائِقَةِ، مُحْطَيْنَ بِشَأْنِ سُلْطَانِهِمْ، يُثِيرُ ذَلِكَ شَكًّا كَبِيرًا فِي صِحَّةِ شَهَادَتِهِمْ.

فَإِذَا جِئْتُ إِلَيْكُمْ الْيَوْمَ قَائِلًا: "كُنْتُ فِي الْمَقَابِرِ لِتَوَيِّ، وَرَأَيْتُ شَخْصًا يُخْرَجُ مِنَ الْقَبْرِ"، سَتُوجَّهُونَ صُعُوبَةً فِي نَسَبِ مُصْدَقِيَّةِ إِلَى كَلَامِي. ثُمَّ قُلْتُ: "لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تُصَدِّقُونِي لِأَنَّ كَلَامِي مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ نَفْسِهِ". ثُمَّ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ إِثْبَاتِ أَنَّ تَقْرِيرِي مِلِّيٌّ بِشَيْءٍ أَنْوَاعِ التَّنَاقُضَاتِ، فَاسْتَنْتَجْتُمْ أَنَّ التَّفَاصِيلَ تُبَيِّنُ أَنَّي لَسْتُ شَاهِدًا مَعْصُومًا مِنَ الْخَطَا؛ فَهَلْ يَدْحَضُ ذَلِكَ تَلْقَائِيَّ الْإِدِّعَاءِ الْأَسَاسِيِّ الَّذِي أَدْلَيْتُ بِهِ؟ كَلَّا، لَكِنَّهُ قَدْ بَيَّنَّ حَتْمًا أَنَّي لَسْتُ شَاهِدًا جَدِيرًا بِالثَّقَّةِ يُمَكِّنُ أَنْ تَعْتَمِدُوا عَلَيْهِ لِثِقِيَّةِ أَيَّامِ حَيَاتِكُمْ. فَسَتَرَعَّبُونَ فِي دَلِيلِ أَفْضَلِ، عَلَى مَا أَرْجُو، مِنَ الَّذِي يُقَدِّمُهُ شَخْصٌ يَجُولُ مُدَّعِيًّا أَنَّ لَدَيْهِ سُلْطَانًا لَا يَتَمَتَّعُ بِهِ حَقًّا.

إِذَنْ، مُجَدَّدًا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَجْرَدَ ادِّعَاءِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَنَّهُ مُوحَى بِهِ، بِرَأْيِي، لَا يَجْعَلُهُ مُوحَى بِهِ، لَكِنَّهُ يَرْفَعُ مِنْ سَقْفِ الْمَعَايِرِ، وَيُضْفِي أَهْمِيَّةً أَكْبَرَ عَلَى مُحْتَوَاهُ. وَبِالنَّالِي، عَلَيْنَا فَحْصُ أَيِّ ادِّعَاءٍ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي ضَوْءِ ادِّعَائِهِ بِأَنَّهُ مُوحَى بِهِ، عِنْدَ تَقْدِيمِنَا دِفَاعًا عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدَّيسِ أُنْدَرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِاصْلَاحِ (Reformation Bible College) وَهُوَ مُؤَلَّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلْنَا لَاهُوتِيُونَ" وَ"أَدَهَشَنِي الْأَلَمُ".